الالتهابات المفصليَّة التي يطول امرها والتهاب المفاصل الدرني والتهاب ما حول البوق الخ

ولمعترض ان المنفطات تضني الجسم. ألا فليعلم المعترض ان فصل الحرَّاقة اقل ازعاجاً للعليل بكثير من وخز الحاصرة واذا خيف من اصداد محلّ المنفطة فيُعتمد الى غسل الجلد بالصابون والكحول ثمَّ يُضمد المحلّ المنفط بقطعة قماش نظيفة معقمة او بورق « يوسف » نظيف

واذا أوجسَ الطبيب خيفةً من حصول عوارض ذُرَّاحيَّة فيكتفي بان تكون المنفطة صغيرة وتكوَّر مرارًا. ويجب رفعها بعد وضعها بخمس او ست ساعات ويوضع موضعها لبخة سخنة مركبة من ارز قد طُبخ في ماء الحامض البوريكي. فهذه اللبخة تعجل حصول القشاعة. وهكذا يُوفَّر على البدن امتصاص قسم من المادَّة الذراحيَّة التي يخشى من تأثيرها على سلامة الكليتين

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

كان في فكرنا لو سمح لنا الوقت ان نتجوَّل في الانحاء المجاورة لماردين لنبحث عن الآثار الكتابيَّة المفقودة لاسيما في العربيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة مع ما كانت عليه تلك البلاد من الرقي والعمران على عهد الرومان كما يشهد عليه تاريخ نصيبين حاضرة ما بين النهرين وحصنها الحصين التي طالما تنازع في امتلاكها الرومان والفرس وتاريخ دارا التي رمَّمها وحصَّنها الملك انستاس فعُرفت باسمه (Anastasiopolis) وآثارها الجليلة الباقية تشبه آثار تدمر وبعلبك. الَّا انَّ الزمان كان قصيرًا وفي نيتنا ان نعود الى بيروت قبل اشتداد الشتاء

فعدنا عن نصيبين ودارا لنرحل الى ديار بكر وهي مركز الولاية واحدى امهات مدن الدولة العلية مؤملين بانَّنا نجد فيها ما لا نجدهُ في غيرها من المخطوطات

فيوم الاثنين الواقع في ٢١ تشرين الاوّل قمنا باكرًا وبعد تقدمة الذبيحة الطاهرة سرنا مع قفل صغير في وجهة ديار بكر. وهذه المدينة موقعها شمالي غربي ماردين على ٧٣ كيلومترًا منها والطريق تقطعها اليوم عربات قليلة لكنها لم تصلح لذلك وقت سفرنا. وهي تمرّ بين حدائق وغابات. ثم تتوغل في رُبى وآكام الى ان تنحدر في السهول المجاورة لدجلة حيث بُنيت ديار بكر على ضفّة ذلك النهر الجليل احد الانهر الاربعة المذكورة في وصف جنّة عدن في سفر التكوين

وكان النهار معتدل الحرارة واديم السماء صافياً والهواء عليلًا فسرنا نحو ساعتين حتى قربنا من عين شيخان في بطحاء هناك ذات مياه واشجار واذا باصوات تتناوب وراءنا وبقوم يصرخون الينا أن: قفوا في مكانكم

فالتفتنا فابصرنا شرذمة من الجند في عدد عشرة او خمسة عشر معهم بعض ضباط وهم يسرعون الينا. فلمّا رأيناهم وقفنا عن المسير ننتظرهم لنعلم ماذا يريدون منّا واخذت انا كتاب صلاتي متنحّياً عن القفل ببعض الخطوات

ونحن لكذلك اذ سبق الجندَ احدُ رفقتهم كان بينهم كالدليل لابسًا لبس الشرط فادركنا واذ رآني معتزلًا عن الآخرين اقترب منّي ليرصدني. فاءني عمله وسألته: ماذا تريد مني؟ قال: اريد تفتيشك. قلت: دعني الآن اصلي صلاتي حتى يأتي رفقتك فسننظر في مرادكم

فكأنّ كلامي هذا امعضهُ فاخذ يدمدم ويزمجر ولعلّ الامر كان تفاقم بيننا لولا انّ الجند والضباط كانوا اقتربوا منّا فاسكتوا غضبهُ

ثم تقدّم احد الضبّاط وامرنا بان نُنزل احمالنا. فسألتهُ: ما معنى هذا الخروج وراءنا أنحن لصوص فارّون من الدولة وقد قضينا في ماردين خمسة عشر يوماً نتردّد على رؤساء الطوائف النصرانيّة وادباء المسلمين وعمّال الحكومة فلم يتعرّض لنا احد فلو طلبنا المتصرف لَما تأخّرنا عن اجابتهِ

فكان جواب الضابط على كلامي انّهم مأمورون وعلى المأمور ان يقوم بما أمر بهِ. فقلنا: ان كان الامر كذلك فلا بأس

وكان اوّل ما طلبوهُ منّا تذاكرنا فقدّمناها لهم وهي ممضاة مختم ولاية بيروت

فاحتفظوها ثم جعلوا يفتشون كل خروجنا واوعيتنا واذ رأى الجند زاد طريقنا اخذوا يقتسمونهُ بينهم كأنهُ غنيمة باردة.

ولما انتهوا من تفتيش اثقالنا ارادوا تفتيشنا رغماً عن احتجاجنا على عملهم. فعاد اليَّ ذاك الشرطي الذي زجرتهُ فهمَّ ان يجسَّ ثيابي واطراف جسمي بنوع لا يليق فدعوت الضابط الاكبر وقلت لهُ: اني لا ارضى مطلقاً بان يمسَّني هذا الخبيث

فلما سمع المفتش كلامي تنمَّر غيظاً ومدَّ شمالهُ الى لحيتي ورفع يمينهُ ليضربني فاسرع منصور احد اخوتي الذي كان مرافقاً لنا في سفرنا ليمسكهُ. اما انا فالتفتُّ الى الجمع قائلاً: كلكم شهود على هذا الانسان وتطاولهِ عليَّ فاذا وصلنا الى ديار بكر رفعت دعواي عليهِ الى سعادة قنصل فرنسة

فلما سمع الضابط اسم قنصل فرنسة ردَّ عني الشرطيَّ واخذ يراضيني بقولهِ: انكم لستم بمجرمين حتى تنفروا من التفتيش. فاجبتهُ اننا رهبان واكرم من حريم فان ارادوا ان يفتشوا اريناهم كل ما في جيوبنا دون ان يمسونا بايديهم

وفي اثناء ذلك حاول واحد آخر ان يجسَّ رفيقي حضرة الاب يوسف شلفون فلم ينتظرهُ بل كشف لهُ صدرهِ قائلاً: فتش هنا لعلَّك تلقى اشياء خفيَّة. فضحك وارتدَّ عنهُ

وبعد ان فحصوا اوراقنا وكتبنا واخذوا منها ما راق لهم ومن جملتها كتاب صلاتي وغير ذلك سألونا عن اصلنا ومقامنا. واذ اعلمهم حضرة رفيقي انهُ ماروني الجنس ظنوهُ ارمنياً فانكر بتاتاً. ففهمنا من سؤالهم انهم اعتبرونا كجواسيس الارمن واننا متنكرون تحت زيّ الاجانب

والحقّ يقال اننا لم نكن نعرف وقتئذٍ ما كان جارياً في اطراف الدولة من النهضة على الارمن وما كان السلطان عبد الحميد وانصارهُ يعدُّونهُ من المذابح والمجازر لطمس آثار العنصر الارمني. وانما انكشف لنا السرّ بعد ذلك بثلثة اشهر عند عودتنا الى بيروت

فعقيب هذا التفتيش غادرنا الجند فساروا الى جهة ديار بكر قبلنا كأنهم يريدون ان يفيدوا الوالي عن نتيجة مأموريتهم. وكان الوالي اذ ذاك انيس باشا من ألدّ اعداء النصارى واحد خواصّ الدولة الحميديَّة وكان اهل ماردين رأوا من آثار جورهِ

مدّة متصرفيّته ما جعلهم يسترحمون الدولة ويطلبون تغييرهُ . ومن مظالمهِ انّهُ كان دسَّ بعض اصحابهِ ليحرقوا اسواق النصارى فخسروا من جرّاء ذلك ما ينيف على ٢٥,٠٠٠ ليرة . واضطرّهم بعد ذلك الى ان يوقعوا تقريرًا يعلنون فيهِ انَّ الحريق حصل على طريق الصدفة . فكان جواب الدولة لدعوة المظلومين انّها رقّت المتصرّف الى منصب الولاية فزاد شرُّهُ وعمَّ كل سناجق ولاية ديار بكر

فلمّا رأى ارمن ديار بكر اعمالهُ وعلموا بانهُ استدعى رؤساء الدين والزمهم بان يُضوا معروضاً للدولة يتشكرون فيهِ من حسن معاملتهِ لهم اقفلوا حوانيتهم واخذوا يتحصنون في بيوتهم ليردُّوا غارات من يناوئهم . فوقف دولاب الاعمال وخاف الوالي من ان يكتب ممثلو الدول في حقهِ فاخذ يطيّب قلوب اعيان النصارى ويعدهم خيرًا اذا اقنعوا اهل دينهم بمواصلة اشغالهم كمألوف عادتهم . فاجاب الاعيان الى طلبهِ وعادت بسعيهم المياه الى مجاريها . وكان ذلك جرى عشرة أيام قبل سفرنا الى ديار بكر

امّا نحن فاستأنفنا السير في طريقنا بينما كنّا نتذاكر ما جرى لنا ولا نعلم ماذا حدا بعمّال الدولة الى هذه المعاملة الغريبة مع وجود التذاكر في ايدينا وسهولة الوقوف على امرنا من المراجع الرسميَّة في بيروت . وكنّا مع ذلك في غاية الاطمئنان نندب ما وقع في حقنا الى سوء تفاهم . ومشينا بقيَّة يومنا دون شيءٍ يكدّر خاطرنا

وبعد ان قضينا الليل في خان وقفهُ في منتصف الطريق سرنا قبل فجر اليوم التالي بين آكام متوسطة الارتفاع ثمَّ تحدَّرنا الى سهول واسعة قفراء حتى اشرفنا على دجلة فلاح لنا ذلك النهر العظيم الذي يخرج في وسط صخور مرتفعة يزيد علوّها عن ١١٠٠ متر على مسافة ١١٥ كيلومترًا شمالي غربي ديار بكر فينحدر كالسيول بقوَّة شديدة وتنصبُّ فيهِ سواعد عديدة حتى اذا بلغ ديار بكر اصبح نهرًا زاخرًا يصعب قطعهُ الَّا في وقت الصيف

واهل ديار بكر يستمدُّون من مياههِ حاجتهم لسقي اراضيهم فتخصب بها اي خصب فترى حدائق المدينة تأتي بضروب الاثمار العجيبة المنظر الشهيَّة الذوق . منها البطيخ (ويدعونهُ الزبش وهو الجبس) الذي يبلغ ثقلهُ من ٤٥ الى ٥٠ كيلو والبطيخ الاصفر البالغ من ٢٥ الى ٣٠ كيلو ولكليهما الذُّ طعم . وقس عليهما بقيَّة

اصناف الفواكه فانها تفوق كثيراً على فواكه بلاد الشام الّا اثمار الجهات الجنوبيّة كالليمون والتمر فانها لا تثمر هناك

وهم يزرعون ايضاً كميّات وافرة من التوت ويربّون دود الحرير ولهم الكروم الواسعة واصناف من العنب الطيب يصطنعون منهُ خمراً قليلاً لعدم رواج الخمر وعرقاً طيباً . وكذلك تبغهم غاية في الجودة

اما غلّاتهم من قمح وشعير وذرة فكافية متوفرة لكنهم يكتفون منها بحاجاتهم لصعوبة نقلها وكُلَف ترويجها في الخارج . واذا مرّت عندهم السكّة الحديديّة البغداديّة فأمامهم ان تنتعش الهمم ويحيا الوات لاسيما اذا حصل لهم بعض الامان من قبائل العرب وشذّاذ الآكاد

قطعنا دجلة على دوابنا قبل الظهر بقليل . واذا مدينة ديار بكر بازائنا تُشرف على النهر بنحو مئتي متر فوق تلّ تزينهُ الكروم . لكنّ المكارين اذ علموا انّ الحكومة تضبط الدوابّ لخدمة عسكرها على سبيل السُخرة لم يشاءوا ان يدخلوا البلد فساروا بنا الى قرية في غربي ديار بكر تُدعى علي پوار على مسافة ثلاثة كيلومترات منها فنزلوا هناك ينتظروننا الى صباح السبت ريثما نتمّ شغلنا فنعود معهم الى ماردين فتركنا حوائجنا في علي پوار تحت حفظ اخي منصور وسرنا الى المدينة ماشين

فما لبثنا ان بلغنا اسوارها المحدقة بها وطولها سبعة كيلومترات وهي اسوار عاديّة مبنيّة بالحجارة البركانيّة الضخمة السوداء يرقى البعض بناءها الى عهد الرومان بل الى عهد الفرس ويكاد علوّها يبلغ ٣٠ متراً ولهذا السور ٧٢ برجاً يدعمهُ . ووراءهُ سور آخر دونهُ يحمي المدينة مع قلعة حريزة في داخلها على انّ الخراب قد استولى على قسم من تلك المحصنات بتوالي الزمان وتقاضي الحكام

وكان دخولنا المدينة من بابها الغربي فلم يتعرّض لنا احد . ثمّ علمنا انّ الوالي كان امر الشرطة بان يوقفونا عند الباب الجنوبي حيث كانوا لنا بالمرصاد . فوقع الامر على خلاف انتظارهم بسبب السخرة كما رأيت . وسرنا نحن الى دير الآباء الكبوشيين فاستقبلنا بالترحاب والحفاوة حضرة رئيسهم الجليل الاب يوحنّا الذي كنّا اجتمعنا بهِ سابقاً ورأينا الكثير من فضلهِ

وبعد ان تبادلنا عبارات الوداد اخبرنا الآباء المرسلين ما جرى لنا في الطريق وكيف اوقفونا على غير داع واخذوا بعض اوراقنا بل تهدّدونا بالاهانة. فما سمع حضرة الرئيس هذا الخبر حتى قام من وقته واخذنا الى دار قنصل فرنسة لنبلّغهُ تفاصيل هذا الحادث. وكان القنصل اذ ذاك المسيو ميريه (M^r Meyrier) من ذوي الفضل والدين والهمّة القعساء. فلمّا وقف على واقع الحال اشار الى ترجمانهِ بان يرافقنا عند الوالي لترفع اليهِ شكوانا. فسرنا الى مجلس الحكومة حيث كان انيس باشا. فاخذهُ العجب اذ رآنا مع ترجمان القنصليّة بعد ان كان تقدّم بتوقيفنا الّا انّهُ سكت. فجعلنا نفصل لهُ ما اصابنا من الاهانة ونحن مرسلون في حماية فرنسة وممتا تذاكرنا المسجّلة في احدى ولايات الدولة ولم نأتِ ادنى عمل يوجب المعاملة غير القانونيّة التي جرت في حقّنا

فتلعثم الوالي في جوابهِ ولم يدرِ ما يقول لكنهُ اخذ تذاكرنا التي كان الجند اتوهُ بها فبعد نظرهِ فيها مليًا قال: في تذكرتكم انكم مسافرون الى بغداد فما بالكم قصدتم ديار بكر ؟ اجبنا انّ غاية سفرنا هي بغداد لكنّ طريقنا على كل مدينة نؤمل فيها وجود الآثار الادبيّة التي نسعى في طلبها فما كان يمكن ان نعدّد كل اسماء البلاد التي نمرّ فيها. فسكت

فبعد هذا طلبنا منهُ ان يردّ لنا حوائجنا المضبوطة ويقاصّ الجندي الذي تهدّدني بالضرب. فاجاب انّهُ يفعل ثم صرفنا. فرجعنا الى الدار القنصليّة واعلمنا سعادة القنصل بما جرى بيننا وبين الوالي. فاوعز الينا ان نقدّم لهُ معروضاً نودعهُ شكوانا ففعلنا. ثم نقل القنصل هذا المعروض الى التركيّة وارسلهُ الى الوالي مصحوباً بكتاب منهُ حيث شدّد النكير على ما صنعوا بنا والحّ على الوالي بان تُردّ لنا كلّ المطلوبات وان يجازى الشرطي على سوء معاملتهِ وان نُعطى اخيرًا بيولورديًا ليخفرنا من مدينة الى اخرى جنديّان يقيمان في خدمتنا كلّما احتجنا اليهما. ففي صباح اليوم التالي اعادوا لنا كل اوراقنا وكتبنا على يد سعادة القنصل ثم أُرسل لنا البيولوردي قبل خروجنا من ديار بكر

اقمنا في ديار بكر ثلاثة ايّام فقط فزرنا في اثنائها رؤساء الدين ووجوه الطوائف

وعلمنا ما كان يجول في خاطرهم من الهواجس فكأنهم يشيمون برق الزوبعة ويسمعون عن بُعد هزيم الرعد

وعند زيارتنا لطائفة الارمن وجدنا في ديوانها اسقفاً يعقوبياً كان محتمياً في جوارهم. فاخبرونا انَّ اسمهُ عبدالله الصددي وانهُ وقع بينهُ وبين بطركهِ عبد المسيح خلاف كبير فاراد البطريرك ان يستعين بالدولة ليلقيهُ في الحبس. فلمَّا استروح المطران عبدالله ذلك النبأ فرَّ هارباً من دير الزعفران والتى ديار بكر مجاهراً بارتدادهِ الى الكثلكة. واذ اراد انيس باشا توقيفهُ اسرع السيد عبدالله فالتجأ الى حماية قنصل فرنسة بصفة كاثوليكي مرتدّ عن اليعقوبية وبقي اياماً في الدار القنصليَّة حتى نُقل مخفوراً الى دار اسقفيَّة الارمن الكاثوليك. وكل يعرف ما صنع بعد ذلك الاسقف عبدالله اذ انتمى الى الكثلكة وبقي في خدمة الكنيسة السريانيَّة الى ان اغواهُ شيطانُ الطمع ثانيةً بعد ان عزلت الدولة البطريرك عبد المسيح قبل خمس سنوات فطلب لنفسهِ البطريركيَّة اليعقوبيَّة واظهر بذلك انَّ ارتدادهُ الى الكثلكة لم يكن عن سلامة نيَّة بل لغايات زمنيَّة اثارهُ الله

وزرنا كنائس ديار بكر كنيسة مار قشيون للكلدان وكنيسة مار سرجيوس للارمن الكاثوليك وكنيستي الروم واليعاقبة وكلتاهما على الطرز القديم لعلَّهما ترتقيان الى ما بعد الفتح الاسلامي بقليل. اما الكنيسة الكاتدرائيَّة الكبرى السابقة لعهد العرب فاتخذها المسلمون كجامع لصلاتهم وهي باقية الى يومنا مع ما طُمس من محاسنها على كرور الدهور

وفي جوار الكنيسة الكلدانيَّة في الابنية اللاحقة بها من الدار الاسقفيَّة مكتبة قديمة يبلغ عدد كتبها بين مطبوعة وخطيَّة نحو ٥٠٠٠ كتاب وجدنا فيها آثار حسنة كلدانيَّة وعربيَّة من جملتها مجموع شعر نرساي وديوان ورده الشاعر الشهير وتاريخ عربي لاحد اساطرة القرن الثالث عشر وقد باشر بطبعهِ اليوم سيادة مطران سعرت السيد ادي شير فظهر قسمهُ الاوَّل مترجماً الى الافرنسيَّة (راجع المشرق ١٢: ٧١٢) ومنها كتاب في الديانة النصرانيَّة وتعاليمها وآدابها لابن التلميذ وغير ذلك ممَّا يعزّ وجودهُ كبعض المطبوعات القديمة

ومما رأينا في كنيسة الارمن ذخيرة ثمينة تُصان بكلّ اكرام وهي على حسب

تقليدهم احد المسامير التي سُمر بها السيد المسيح على صليبه. فهذه الذخيرة مودعة في صوان من بلور مثلث الزوايا طوله ١٥ سنتيمترًا وعلى الصوان كتابة ارمنيَّة هذه ترجمتها في السنة ١٠٩٨ من تاريخنا (الارمني) الموافقة للسنة المسيحيَّة ١٦٥٠ ظهر في هذه كنيسة القديس سركيس المسمار الذي سُمِّر به الربّ في صليبوته »

وللصوان قاعدة تُعرض فوقها الذخيرة وهي ذات ثلاثة وجوه . فعلى الوجه الاوَّل ثلاث كتابات لاتينيَّة: الاولى فحواها: خاتم سمعان دي سنت اندره فارس ماغوصا (Famagouste) من قبرس. والثانية معناها: هذا مسمار السيد المسيح. والثالثة هي رسم شعار سمعان السابق ذكرهُ. وفي اثره : اننا نسجد للربّ الذي يكافئنا امين »

والوجه الثاني عليه رسم صورة السيد المسيح مع تلامذته بعد قيامته وتوما امامهُ ساجدًا لهُ وجاعلًا اصبعهُ في جنبه. اما الوجه الثالث فعليه رسم الصليب وعلى جانبي الصليب ملائكة تحدق به

نقلنا هذه المعلومات عن مقالة كتبها في ذلك حضرة الاب يوحنَّا رئيس الرسالة الكبوشية في ديار بكر ثم نشرها في مجلة الارض المقدَّسة (La Terre Ste. 1897 - pp. 49 - 55) وعنهُ اخذنا رسم الذخيرة كما تراها (ص٦٢٥). وقد رويْنا خلاصة قوله دون ان نقطع بصحة الذخيرة والمظنون انَّ هذا الاثر المقدَّس حصل عليه احد ملوك الارمن في القرون الوسطى فاهداهُ الى ملوك الفرنج في قبرس فلمَّا خرج الفرنج من تلك الجزيرة اخذوا معهم تلك الذخيرة حتى صارت في ملك الفارس سمعان دي سنت اندره. وعلى كل حال نحيل القرَّاء الى ما كتبهُ العلَّامة روهو دي فلوري في ذخائر الآلام عمومًا وفي المسامير المقدَّسة خصوصًا: (Rohault de Fleury: *Les Instruments de la Passion*. pp. 172 - 181)

ومن غريب ما جرى لهذه الذخيرة بعد خروجنا من ديار بكر ببضعة أيام انَّ الاكراد نهبوا الكنائس فسلبوا تلك الذخيرة وباعوها مع قاعدتها. فاشتراها مسلم اسمهُ علي ثمَّ باع القاعدة بثقلها فضة امَّا المسمار فعالجتهُ امرأة علي فكسرت الاسطوانة البلوريَّة ورمتها مع المسمار في قمامة الدار. وكان الارمن في اثناء ذلك يبحثون عن الذخيرة فسألوا عليًّا عن امرها وسأل هذا امرأتهُ فاخبرتهُ بالامر فجاء الارمن ولم

يزالوا يفتشون عن الذخيرة حتى وجدوها وتحققوا صحتها ثمَّ اتحفوا عليا بهبة عرضاً عنها. وردُّوا الذخيرة الى كنيستهم وزادوا اكراماً لها

وبمناسبة زيارتنا لديار بكر رأينا من اللائق درس تاريخها فهذه خلاصة ما استفدنا من بحثنا نثبتهُ هنا لفائدة القرَّاء الذين لا يسمعون الَّا القليل عن مدن بلاد ما بين النهرين

ديار بكر اسم حديث لمدينة يرتقي عهدها الى منين من السنين قبل التاريخ النصراني وكان اسمها القديم آمد وبهذا الاسم ورد ذكرها في الكتابات الاشوريَّة ويقال ايضاً أميد وأميدوس. وسمَّاها الترك قرا آمد اي آمد السوداء لسواد حجارتها البركانيَّة وسمَّاها قدماء الفرس " كركتيو سرتا " اي مدينة الكركتيين احدى امم الفرس

واوَّل ما ورد ذكرها التاريخ في كتابة لملك الاشوريين المسمَّى " اشور نزير هبال " حيث يفتخر بفتح آمد وذلك بين السنتين ٨٦٠ و٨٧٠ قبل المسيح. ويروي موسى الخوريني مؤرخ الارمن في الفصل الثلاثين من تاريخهِ ان دقران او تقران احد ملوك الارمن رمَّم آمد وزخرفها فجعلها مقاماً لاختهِ قرينة الملك استياج المادي وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد

ثمَّ بقيت آمد خاملة الى القرن الرابع بعد المسيح فحصَّنها قسطنطين الكبير وقيل قسطنس ابنهُ فدُعيت مدَّة باسمهِ قسطنطية. واشتهرت آمد بعد ذلك بمقاومتها لملكي الفرس سابور الثاني في القسم الآخر من القرن الرابع ولقباذ في القرن السادس فلم يستطيعا فتحها الَّا بعد الجهد الجهيد وبواسطة الخيانة. فافرغ الفاتحان غضبهما على اهلها بالقتل والنهب والدمار

الَّا انَّ المدينة كانت لا تلبث ان تقوم من خرابها وتعود الى عزِّها السابق لاسيما في عهد يستنيان الملك الذي ضاعف المنَّة في مناعتها. وجدَّد الملك هرقل بناء كنيستها الكبرى المعروفة اليوم باوس جامع. وكان فتحها في عهد العرب على يد العياض بن غنم سنة ٢٠ للهجرة. وعُرفت في العهد العربي بديار بكر. لأنَّ بني بكر وتغلب كانوا احتلوا الانحاء المجاورة لها. فاطلقوا اسم ديار بكر على الجهة الغربيَّة من

الجزيرة واسم ديار تقاطع على الجهة الشرقية عند جزيرة بني عمر. ثمّ اختصوا مدينة آمد باسم ديار بكر لانها حاضرة تلك البلاد

وفي ايام الدولة العباسيّة تنقلت آمد فصارت في حكم بني بويه ثم الروم ثم المردانيين والفاطميين والارتقيين فتتبع غالبا اصحاب ماردين وحصن كيفا. ولمّا فتح الصليبيون مدينة الرها اضافوا ديار بكر الى مملكتهم ثم عادت الى حكم المسلمين. وفتحها العرب في اوائل القرن الرابع عشر فبقيت في عهدتهم حتى ملكها شاه اسماعيل في اوائل القرن السادس عشر فلم يحكموا عليها الّا عشر سنوات فدعا امراء الاكراد السلطان سليماً فوافوه عليها سنة ١٥١٥ وبقيت منذ ذاك تحت سيطرة الدولة العثمانية

ودخلت النصرانيّة في ديار بكر في القرون الاولى للميلاد حتى ان التقليد ينسب تنصرها الى المرسولين توما وتداوس والدليل على نجاحها انها كانت مقاماً لرئيس اساقفة تنوط بها اسقفيات عديدة كسنجار ودارا ونصيبين وبيت زبدا. وكان مطرانها سمعان من جملة الذين حضروا المجمع النيقاوي الاول سنة ٣٢٥. واشتهر في القرن الخامس اسقفها اقاقيوس بمحبته للفقراء وافتدائه للاسرى

وفي القرن الخامس نفث النساطرة ولاسيما اليعاقبة فيه سمّهم لا بل اتّخذها اليعاقبة ككرسي بطاركتهم الى زمن ميخائيل الكبير في القرن الحادي عشر فانتقل منها الى ماردين. وكنيسة اليعاقبة من اقدم كنائس ديار بكر. وكان للملكيين ايضا اساقفة في ديار بكر عُرف منهم ابراهيم الثاني في عهد فوطيوس. لا بل لا يزال حتى يومنا كرسي ديار بكر من كراسي الطائفتين الملكيّتين الكاثوليكيّة والارثذكسيّة وان بقي مرارًا الكرسي فارغاً. وكنيسة الروم قديمة ترتقي الى القرن الثامن وكانت في ايدي الكاثوليك الى اواسط القرن الماضي

امّا الكلدان فان كوارث الزمان كانت تصدّت عليها فطمستها البدع في آمد الى ان قام في اواسط القرن السادس عشر يوحنّا سولاقا الكلداني فخضع للكرسي الرسولي اتمّ الخضوع فاقامهُ البابا بولس الثالث بطريركاً على طائفته وجعل كرسيّهُ في آمد سنة ١٥٥٣ فردّ كثيرين من اهلها الى الايمان الكاثوليكي وخلفهُ عبد يشوع مطران الجزيرة بعد موته شهيداً سنة ١٥٥٥ فتقفّى آثارهُ لكنّ النساطرة اثاروا عليه وعلى

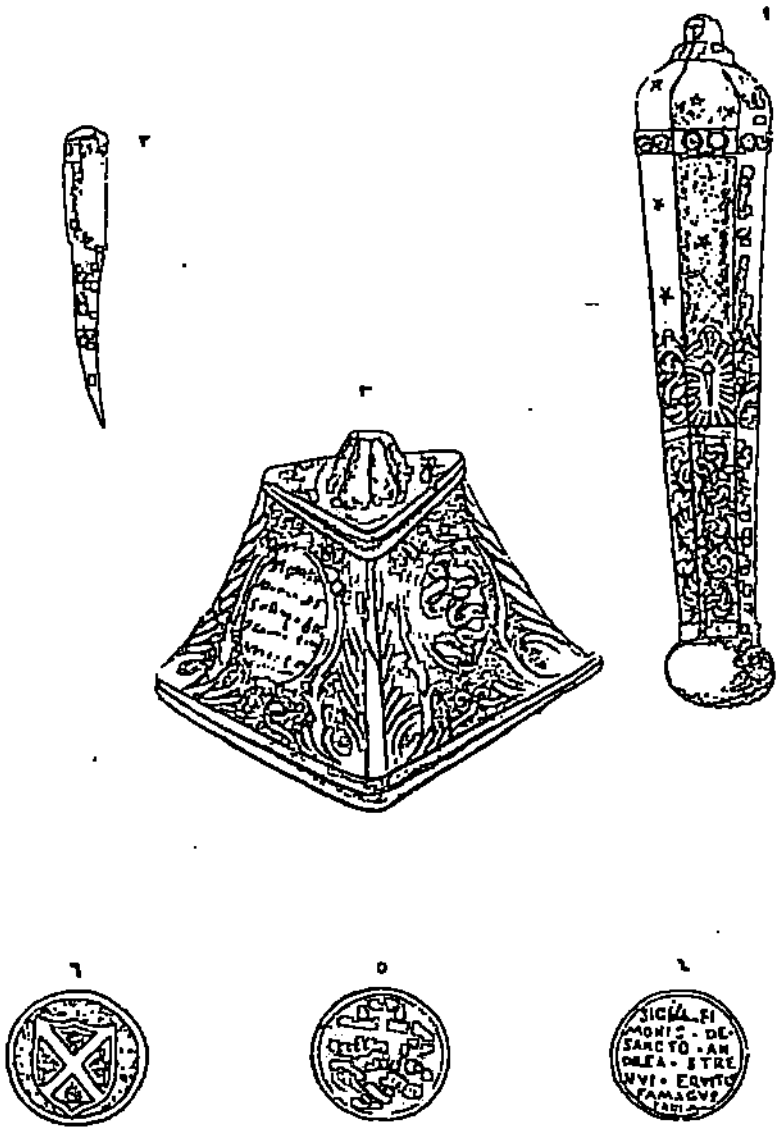

ذخيرة المسار المقدَّس في ديار بكر

١ صورة الصوان الذي تُحفظ فيه ذخيرة المسار المقدَّس في ديار بكر
٢ صورة المسار المقدَّس دون رأسه المفقود
٣ القاعدة الفضيَّة التي تُعرض عليها ذخيرة المسار المقدَّس
٤–٦ تصاوير وجوه القاعدة ورسومها

رعيّته اضطهاداً عظيماً وحرّكوا عليه عمّال الدولة فصارت كنيسة آمد في حالة حرجة لاسيما بعد موته سنة ١٥٦٥ .

وفي اوائل القرن السابع عشر عادت الكثلكة الى بعض الازدهار في آمد برجوع ايليّا السادس البطريرك النسطوري فهذا نبذ التعليم الناطرة ونال من الحبر الاعظم درع الرئاسة وعقد في آمد سنة ١٦١٦ مجمعاً حضره كقاصد رسولي رئيس الآباء الفرنسيسيين في حلب الاب توما دي نوفار (Thomas Obicini de Novarre) الّا انّ الدين الكاثوليكي تعرّض لعدّة اضطهادات بعد وفاته سنة ١٦٢٧ وفي ايّام خلفه ايليّا السابع المتوفّى سنة ١٦٦٠

وفي تلك الاثناء عهد الكرسي الرسولي الى الآباء الكبوشيين رسالة ما بين النهرين فعزّز جيشهم الكثلكة وادخلها في طور جديد وذلك سنة ١٦٦٧ اذ ارسل المجمع المقدّس الاب يوحنّا دي سنت ايغنان (J - B. de St Aignan) مع راهبين آخرين الى آمد فابتدأوا ينشرون العقائد الكاثوليكيّة بغيرة عظيمة وما لبث عدد كبير من الناطرة واليعاقبة والروم ان نبذوا اضاليلهم وتبعوا الايمان الكاثوليكيّ

وزادت هذه الحركة لمّا جعل الكرسي الرسولي مدينة ديار بكر كرسي البطاركة الكلدان الكاثوليكيين المعروفين باليوسفيين (١ فضمّوا قواهم الى قوى المرسلين من السنة ١٦٧٠ الى السنة ١٨٢٧ حيث جُعل الكرسي البطريركي للكلدان في الموصل وكانوا في غضون ذلك ردّوا كل الناطرة الى حجر الكنيسة

وقد قاسى المرسلون والبطاركة في آمد من الاضطهادات والمشقّات ما يطول ذكره الّا انّ مساعي الكبوشيين الرسوليّة واعمالهم الخيريّة من تمريض المرضى واعالة الفقراء على اختلاف اديانهم بكل الاخلاص والنزاهة جلبت اليهم محبّة الاهلين عموماً من مسلمين ونصارى وكبار وصغار حتى انّ الولاة وامراء الاكراد اخذوا يعزّونهم ويكرمونهم

وما لبث اليعاقبة والارمن الغريغوريّون ان تبعوا مثال الكلدان فاهتدى منهم

١) راجع في المشرق (٣ : ٨٧٨) مقالة السيد ادي شير والقس بطرس قصري التي عنوانها « طائفة الكلدان الكاثوليك »

عدد وافر في آمد والقرى المجاورة لها واقام لهم الكرسي الرسولي اساقفة الى يومنا وعدد الكاثوليك اليوم في ديار بكر ونواحيها يبلغ نحو ٦٠٠٠ منهم ٢٥٠٠ كلدان و ١٨٠٠ ارمن كاثوليك و ١٢٠٠ سريان . و ١٥٠ روم كاثوليك والبقيَّة من اللاتين

اما الغريغوريُّون فكان عددهم عند مرورنا نحو ١٢٠٠٠ واليعاقبة ١٥٠٠ والروم الارثذكس ١١٠٠ والبروتستانت نحو ١٠٠٠ فالنصارى نحو ثلث اهل ديار بكر وتوابعها والباقون مسلمون واكراد وشركس . ولطوائف الكاثوليك في ديار بكر مدارس . اما المرسلون الكبوشيون فيهذّبون الذكور والبنات معاً تساعدهم في عملهم راهبات افرنسيسيّات من فرنسا . لا بل صارت الرسالة الكبوشيَّة كلها اليوم في عهدة الكبوشيين الفرنسويين بعد ان كان يديرها رهبانهم الايطاليون

وقد تجوَّلنا مدة اقامتنا في ديار بكر في اسواقها واحيائها فرأيناها كثيرة الاقذار قد استولى الخراب على قسم من ابنيتها . وبين هذه الابنية ما تلوح فيه مسحة من البهاء القديم ومنها ما هو على الطرز الفارسي . وقد شيَّد بعض الاعيان بيوتاً حسنة في هذه السنين الاخيرة . وبين مساجدها ما هو محكم البناء ولا سيما جامعها الكبير الذي مرَّ ذكرهُ وفي داخله السواري الضخمة والنقوش البهيَّة . ومن ابنيتها التي تستحقُّ الذكر قلعتها القديمة الواقية الى عهد الروم كانت فيها كنيستان الواحدة على اسم مار يوحنَّا المعمدان هي الآن مسجد لتلاة الجند والاخرى اتخذوها كمستودع للاسلحة . ويسقي ديار بكر مياه غزيرة طيبة تأتيها بالاقنية من الجبال المجاورة

وما كنَّا نظنُّ انَّ ديار بكر بعد خروجنا منها بأيام قليلة ستضحي منقعاً للدم اذ فتح الوالي ابوابها للاكراد فحدثت تلك المذابح التي قُتل فيها ١٢٠٠ نصراني اكثرهم من الارمن وأُحرقت مخازنهم ونُهبت بيوتهم . على انَّ الآباء المرسلين اظهروا وقتئذٍ من المروَّة ما لا يفي بشكره لسان فانقذوا نحو ٥٠٠٠ شخص في ديرهم وعالوهم مدَّة اسبوعين وكذا فعل قنصل فرنسة في داره . وكانت قرينتهُ الفاضلة تهتمُّ بالفقراء والجرحى اهتمام الام وبعد أيَّام خرجت من ديار بكر مع ٢٠٠٠ منهم ورافقتهم الى حلب ولم تشأ ان تنفصل عنهم حتى قطعوا الفرات وصاروا في لمان . فقدَّرت الحكومة الفرنسويَّة شهامتها واهدتها جائزة فاخرة (لهُ بقيَّة)